

محمد اقبال

فى اللغة العربية

الاستاذ عبدالمعين الملوحي

دشوق - سورية

كان حظ الشاعر العبقري والفيلسوف - محمد اقبال فى اللغة العربية - وما يزال قليلا جدا .

ولقد عرف فى حياته، أنه كان غير مشهور عند العرب، وربما كان حظ بعض شعراء الهند - آنذاك - ومنهم طاغور . أكثر من حظه وأوفى .

وطالما حن اقبال الى اللغة العربية، وطالما جعل القرآن الكريم - كتاب العربية الاكبر - ديدنه والمرجع الاعلى لافكاره وعواطفه ودعوته، وطالما نصح الشعراء العرب وحن الى الصحراء ووصف الناقة، واهدى الى سهد الاسلام والعرب فى الحجاز ديوانه "ارسغان حجاز"، ولكن كل هذه المواقف الطيبة لم تغن الا قليلا، وما زال ما عرف من أدبه وشعره وفلسفة ضئيلا .

لم يعرف اقبال فى اللغة العربية الا فى الثلاثينات من هذا القرن . اى قبيل وفاته ببضع سنوات .

ولا شك أن الفضل الاول فى نقل أدبه الى اللغة العربية، يعود الى المرحوم

الدكتور عبدالوهاب عزام، ثم جاء من بعده من تابع نقل أدبه . المؤلفات التى تناولت أدب محمد اقبال باللغة العربية تقسم الى قسمين :

- ١ - القسم الاول سايعلق بترجمة أدب اقبال وشعره .
- ٢ - القسم الثاني وهو يتناول دراسة حياة اقبال والتعريف به، والبحث في سيرته وأدبه وشعره فلسفته .

١ - القسم المترجم :

أول من عنى بترجمة اقبال الى العربية الدكتور عزام، وقد ترجم "بيام مشرق"، (رسالة المشرق) و "اسرار خودي"، (رسوزالذاتية) و "رسوز بي خودي"، (رسوز نفى الذاتية) و "ضرب كلیم"، و ترجم بعض القصائد من ديوانه "بانك دراء، (صلصلة الجرس) ثم ترجم قصته الشعرية "جاويد نامه"، و بدأ في الترجمة والنشر منذ الثلاثينات .

ثم جاء العلامة أبو الحسن على الحسنى الندوى، فترجم ولخص روائع اقبال ونشر هذه الروائع في دمشق عام ١٩٦٠ م . ولكن ترجمة هذه الروائع ليست كاملة، و نصيب الدراسة والبحث فيها أوفر من نصيب الترجمة المقيدة الكاملة . وكان آخر كتاب مترجم ترجمة جيدة وكاملة لاقبال، هو ديوانه "ارسغان حجاز، اى هدية الحجاز، وقد ترجمه الاستاذ سمير عبدالحميد ابراهيم و طبع في لاهور عام ١٩٧٦ م .

و أضاف الاستاذ المترجم الى الديوان بحثا جيدا في عصر اقبال، و فكره وأدبه .

وهناك ترجمات قصيرة و يسيرة لبعض قصائد اقبال . لاتتناول ديوانا كاملا، وانما هي شذرات .

هذا كل ما عثرت عليه من ترجمات كاملة او ناقصة لآثار اقبال .

والملاحظ أن كل هذه الترجمات، كاملة او ناقصة، تتناول آثاره الشعرية وحدها، ولا تكاد تعرف شيئا من ابحاثه و كتاباته و محاضراته، أو من نثره على العموم .

٢ - القسم المتعلق بسيرة اقبال وأدبه و فلسفته :

و ليس هذا القسم أكبر من القسم الاول، ولا أغنى، ولعل اول كتاب تناول سيرة اقبال و فلسفته و شعره هو كتاب الدكتور عبدالوهاب عزام فى الخمسينات، و كذلك المقدمة التى وضعها لترجمة ديوان ”بيام شرق“، الذى طبع فى كراتشى، عام ١٣٧٠ هجرية . و يأتى بعد ذلك الكتاب الذى أصدره الاستاذ حميد مجيد هدو و عنوانه : اقبال : الشاعر والفيلسوف والانسان، وقد طبع فى النجف عام ١٩٦٢ م ١٣٨٣ هـ . و كذلك فان الاستاذ الندوى فى ترجمته وتلخيصه لروائع اقبال كتب مقدمة جيدة لحياته ودراسة لآثاره . و فى ديوان ”ارمغان حجاز“، ايضا دراسة عميقة لعصر اقبال و فكره .

الى جانب هذه الكتب هنالك ابحاث و مقالات كثيرة تناولت أدب اقبال و فلسفته، و ظهرت فى بعض الصحف والمجلات، كما نشرت آراء بعض الادباء العرب فيه و فى أدبه، و من هؤلاء طه حسين، و عباس محمود العقاد، و احمد حسن الزيات، والدكتور نجيب الكيلانى، فى كتابه، اقبال : الشاعر الثائر، عام ١٩٥٩ م، و فلسفة اقبال لمحمد حسن الاعظمى و الصاوى على شعلان عام ١٩٥٠ م، و محمد اقبال، بعض كتاب مصر عام ١٩٥٦ م، و ”شاعر الاسلام“، لادباء المملكة العربية السعودية عام ١٩٥٧ م، و فى ذكرى محمد اقبال، و كتاب ”محمد

اقبال،، فيلسوف الاسلام و شاعر الباكستان، واكثر هذه المجموعات الاخيرة تتضمن محاضرات او كلمات القيت في ذكرى الشاعر .

و نلاحظ أن العدد الاكبر من هذه المحاضرات والكلمات تتردد فيها أفكار وآراء و أخبار و حوادث متشابهة، و قل أن تضيف جديدا الى حياة اقبال أو فلسفته أو أدبه .

نخلص من هذا الذى ذكرت الى ما يلى :

- ١ - ترجم بعض شعر اقبال ولم يترجم كله .
- ٢ - لم يترجم من نثره و أدبه و محاضراته و أبحاثه الا قليل، وان الكثير الذى بقى جزء لا يتجزأ من اقبال الفيلسوف والمفكر.
- ٣ - أكثر الابحاث التى تناولت أدب اقبال و فلسفته و أفكاره كانت ذات طابع سوقت، و مناسبات عامة .

رأىي فى ترجمة شعر اقبال :

ما من شك فى أن جهد المرحوم الدكتور عزام فى ترجمة شعر اقبال كان جهدا كبيرا مشكورا، وانه استطاع الى حد بعيد كما قال - أن يحافظ على المعانى الاصلية، والصور التى تبرز فيها . بل على أوزان الشعر واسلوب التقفية جهد الطاقة .

و يذكر المرحوم عزام ما يرى أنه خير طريقة للترجمة قال : (١) و خير طريقة فى الترجمة، كما هدتنى التجربة، أن يقدر المترجم أن المعانى التى يعالجها

(١) پیام مشرق ص ١٢

قد الهمها هو، ثم ينظر الى طريقة التعبير التي اتخذها المترجم له، و طرائق التعبير فى اللغة التي يترجم اليها، فيتخذ الصور التي اختارها المؤلف، الا أن تتقضى لغة الترجمة تغييرا أو تبديلا. ولا باس أن يتصرف كذلك بالاطناب او الايجاز استجابة لمقتضى الحال، فى اللغة التي يترجم اليها، والناس الذين يترجم لهم،، .

ويحدد الدكتور عزام حدود هذا التصرف فيقول :

”و مقياس التصرف فى هذا أن يتبين المترجم أن تصرفه ليس بعيدا مما عرف من مذهب المؤلف و من مقصده فى موضع التصرف . وأن المؤلف لو عرض له هذا التصرف حين التأليف أو عرض عليه بعد التأليف لم ينفر منه،، .

هذا هو رأى الدكتور فى الترجمة، و على أساس هذا الرأى تصرف فيما ترجم من شعر اقبال.

و تبقى لترجمة الشعر بالشعر مخاطرها و سلبياتها .

لعل من أوائل من فطن الى مخاطر ترجمة شعر اقبال، وهو بالفارسية أو الاردوية أصلا الى شعر عربى، الأستاذ الندوى، قال : (١)

”و فتر العزم لترجمة شعره — شعر اقبال — خصوصا وقد علمت أن الأستاذ الكبير الدكتور عبدالوهاب عزام عاكف على ترجمة شعره بالشعر . وهو من اجدر الناس بهذا العمل، وأقدرهم عليه لجمعه بين الثقافتين الفارسية والعربية ولانسجامه الفكرى مع اقبال وعقيدته و دعوته . وقد ظهرت له عدة دواوين،، .

ويتابع الأستاذ الندوى كلمته :

(١) روائع اقبال ص ٩ - ١٠ .

”وقد ذكرلى بعض الأصدقاء أنها لا تؤثر فى نفس القارىء، ولا تثيرها
 اثاره الشعر الرقيق، ولا تعطى صورة كاملة واضحة لفكرة اقبال و رسالته ولا تبرز
 شهرته وما قيل عنه . وتصفحت بعض هذه الدواوين فرأيت أن ذلك لا يرجع الى
 ضعف فى الترجمة، و نقص فى العلم والفهم، وهذه الدواوين برهان ساطع على
 مقدرة الاستاذ عزام الغربية على النظم العربى واقتداره على القوافى الصعبة، ولكنه
 لم يكن محسنا الى نفسه و سواهيه، يوم قرر أن يترجم الشعر بالشعر، وذلك الذى
 افقد شعر اقبال قوته وانسجامه، وأفقد الترجمة بهاءها و رواءها و تائيرها، و أضفى
 على هذا العمل الأدبى العظيم شيئا من الغموض، قد يحول بين القارىء و بين
 التذوق والتمتع بالشعر الجميل، والمعانى الرقيقة، .

و بعد أن يعرض الاستاذ الندوى رأيه فى ترجمة الشعر بالشعر على
 العموم، و ترجمة شعر اقبال بالشعر العربى على الخصوص، يرسم الطريقة المثلى
 لترجمة الشعر، شعر اقبال فيقول :

”وكان الاثل للاستاذ عزام — وهو من أدباء العربية ومن كبار المنشئين
 فيها، و من البارعين فى اللغة الفارسية من أبناء العرب ان يتشرب فكرة
 اقبال، ثم يصبها فى قالب العربى، كما فعل ذلك فى بعض مقالاته التى ظهرت
 فى ”الرسالة، و ”الثقافة، و كانت بارعة مؤثرة، .

”ولكل لغة جو خاص، و نفسية خاصة، و منهج تفكير، و أسلوب تعبير،
 وتشبيهات، و مجازات تتعلق ببيئتها ومجتمعها و تاريخها، و مزاجها و مواسمها
 وفصولها، اذا ترجمت حرفيا فقدت جمالها ومعناها ولم تؤد رسالتها، .

”و على كل فان عمل العلامة الدكتور عبدالوهاب عزام سائرة اسلامية

أدبية جليلة، تستحق كل تقدير واعجاب وشكر و اعتراف.،،

و سمن فطن الى مخاطر ترجمة الشعر بالشعر - والى مايدخله من الحيف،
الاستاذ احمد حسن الباقورى فى كلمة التى ألقاها فى جامعة الازهر يوم الاحتفال
بذكرى اقبال، عام ١٩٦٧م، قال الاستاذ(١) :

”و سهما تبلغ ترجمة الشعر من الدقة والسماحة فانه لا يمكن أن تنقل الينا
تلك النفحة العلوية التى تمس حروف اللغة . فاذا هى فتنه من فتن العقول .
و سحر أخذ من سحر القلوب والنفوس . . .

”و ليس من الهين أن ننقل شعر شاعر من لغة الى لغة فيظل محتفظا ببهائه
و فتنه، محفوا بسحره و بيانه - على نفس الوجه الذى كان عليه فى لغته الاصلية.
”وقد وقفت على بعض الشعر المترجم . وهو شعر رجال يذكرون فى
لغاتهم فى نوايخ الشعر، فلما قرأت شعرهم مترجما، خيل الى أن الترجمة قد انزلتهم
عشر درجات دون المنزلة التى حلوا بها عند أهل لسانهم .،،

”أما اقبال، وقد أتيج له شاعر ترجم شعره بروح الشعر، فانه بعد هذا كله،
بقى له عندى سحر آخر كان سببا فى عقد اواصر الاخوة بينى و بينه، وان قلت
عشرتى له .،،

و ياتى بعد هذا رأى الاستاذ على الطنطاوى فيما ترجم من شعر اقبال،
فهو يكتب الى الاستاذ الندوى رسالة مفتوحة يقول فيها: (٢)

(١) محمد اقبال ، فيلسوف الاسلام و شاعر الباكستان ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) روائع اقبال ، دمشق ١٣٧٩ - ١٩٦٠ .

”هل لك أن تختار لنا من شعر اقبال ما يجعلنا نتذوق طعم أدبه، ونلم بطريقته، ونجتلي أسباب عظمته، فان كل ماقرأنا من كلامه مترجما الى العربية لم يعرفنا به، ولم يدلنا عليه؟ ! . . .“

ان ترجمة الشعر بالشعر لا بد أن تدخل الضيم على الشعر المترجم . فلننظر الآن في ترجمة الشعر بالنثر الفني .
رأيت في ترجمة الشعر بالنثر الفني :

في روائع اقبال نجد نماذج من ترجمة شعره بنثر فني، وكذلك نجد ترجمة الشعر نثرا جيدا في ”ديوان ارمغان حجاز.“

وأنا ارى في هذه التراجم شيئا ادل على شعر اقبال من تراجمه الشعرية، ان الأديب فيها غير مضطر الى اقحام ساليق في النص في هذا النص، ولا الى الخروج عنه أو الانقاص منه، ولا الى الابهام فيما هو واضح، ولا الى ايضاح ما هو رمز وشارة . و من أجل ذلك أصبح حتى الشعراء أميل الى ترجمة الشعر بنثر فني فيه روح الشعر، و نفسية الشاعر . لنضرب هذا المثال على ترجمة الشعر بالشعر و الشعر بالنثر .

ورد في بياض مشرق ص ٤٨ هذا النص الشعري : حذاء : نعمة حادي الحجاز .

ياناقتي الخطاره

وظبيتي المعطاره

وعدتي والشاره

والمال والتجاره

يا دولتي السياره

حتى الخطى قليلا منزلنا قريب

مطربة الرغاء

جميلة الرواء

محسودة الحسناء

وغيرة الحوراء

بينة الصحراء

وهذه هي ترجمتها النثرية في ارسغان حجاز ص ٥٦ :

ياناقتي السائرة

ياغزالي التتاري

يادرهمي وديناري

ياقليلي وكثيري

يا حظي السعيد

تمهلي و تهديئي (١) في سيرك، منزلنا ليس ببعيد .

أنت الجاذبية والحسن

أنت الجمال الزاهي

أنت حورية الوجه

أنت محسودة ليلي

أنت بنت الصحراء

ان مقارنة بسيطة بين الترجمة الشعرية والترجمة النثرية لهذا النص الواحد،

(١) هذه ترجمة " تيز ترك كام زن " و ليس في معناه " تمهلي و تهديئي "، وانما معناه : أسرع قليلا من سيرك، — التحرير

يدلنا على ما طرأ على النص الشعري من زيادات، وما في النص النثري من دقة وتفيد .

و هذه قطعة ثانية وردت ترجمتها شعرا في بياض مشرق ص ٥١، واليك الترجمة :

خلقت الظلام فصغت السراج	وطينا خلقت فضغت الكئوسا
خلقت جبالا وبيدا ومرجا	خلقت حدائقها والسغروسا
أنا من حجار	صنعت مرايا
أنا من سموم	صنعت دوايا

وفي كتاب "اربعان حجاز"، ترجم الاسناد سميير هذه القطعة نثرا ص ٧٢، واليك الترجمة النثرية :

أنت خلقت الليل، وأنا صنعت المصباح
 أنت خلقت الصلصال، وأنا صنعت الكوب
 أنت خلقت الصحارى والجبال والغابات
 وأنا صنعت البساتين والحدائق والـ^١ يائك (١)
 أنا الذى صنعت المرأة من الحجر
 أنا الذى حولت السم الى شراب نافع

و هذه الترجمة، على ما فيها، أعتقد أنها أقرب الى روح الشاعر، والى الأمانة فى النص.

(١) جمع الايكة ايك ولا حاجة الى هذا التكلف، (التحريف).

و مع ذلك يمكن أن تكون هذه الترجمة النثرية أكثر فنية، و أظهر روحا شعرية .
 بل ان ترجمة الشعر يمكن أن تتعدد، فان كثيرا من روائع الشعر العالمي
 قد ترجم مرارا، و ترجمه شعراء و أدباء عديدون في عصور مختلفة . فانت
 ترى للياذة مثلا ترجمات كثيرة لمترجمين مختلفين في العصر والاسلوب
 والروح، فلماذا اذن لا تتعدد ترجمات شعر اقبال، نثرا و شعرا، ولماذا لا يترجمه
 عدة أدباء ؟

في مهرجان اقبال :

ساذا نفعل في عام ١٩٧٧م في عام الشاعر والفيلسوف العلامة محمد
 اقبال رحمه الله، بمناسبة مرور مائة عام على ميلاده ؟

أغلب الظن أن خیرما نفعل لتكريم هذا الشاعر العبقري والفيلسوف الكبير
 هو أن ننشر شعره وأدبه و فكره في العالم الاسلامی على الخصوص وفي العالم
 كله على العموم .

أما بالنسبة الى العرب والى اللغة العربية فالتكريم الصحيح والسليم له
 ينحصر فيما يلي :

- ١ - أن تترجم آثاره الأدبية شعرا و نثرا في لغة سليمة وأداء صحيح،
 وأفضل أن تكون هذه التراجم بنثر فني ذي روح شاعرية .
- ٢ - أن تترجم آثاره الفلسفية و كتاباته و محاضراته .
- ٣ - أن تنشر هذه التراجم .
- ٤ - أن توضع قائمة مكتبية وافية بما ترجم له و بما كتب عنه، و ذلك

بالرجوع الى الصحف والمجلات ودور النشر والمكتبات الخاصة والعامة، لتكون هذه القائمة مرجعا دقيقا لكل من أراد دراسته .

٥ - و بعد أن تتم هذه الترجمة و بعد أن تنشر يمكن أن يكون أدب اقبال و فلسفته و أفكاره مجال بحث عميق و دراسة وافية، فان كل دراسة لشاعر أو فيلسوف أو مفكر لا يمكن أن تعتبر جادة و صحيحة الا اذا تمت طباعة آثار الشاعر أو الفيلسوف طبعة كاملة .

تلك هي الهدية الحقيقية التي نهديها للعالم في مناسبة ذكرى ميلادة المئوية وهي أكثر جدوى و فائدة من كل مايقام من حفلات و مهرجانات، ان من الواجب أن يقدم اقبال الى الانسانية و الى المسلمين و الى العرب .

— الى الانسانية باعتباره شاعرا انسانيا كبيرا .

— الى المسلمين باعتباره فيلسوفنا مؤمنا بالعزة والتقدم و الحضارة .

— الى العرب باعتباره صديقا وأخا مخلصا وداعية الى التحرر والكرامة .

لقد كان اقبال انسانا عظيما ينتمي الى أسننه الاسلامية العظيمة، و من أجل ذلك ينبغي أن يبرز للعالم كله كشاعر و فيلسوف و انسان، يزاحم بشعره و فلسفته و انسانيته عمالقة الشعر و الفلسفة والانسانية في القرن العشرين، وهو بذلك جدير .